مجلة الشرق الأوسط
للدراسات القانونية والفقهية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

الجوامع الحديثية ودورها في بناء الفكر الإسلامي

طالبة دكتوراه سارة الكريدي[1] ، الدكتور حسين ستار[2] ، كوثر يوسفى نجف آبادى[3]

جامعه كاشان قسم علوم القرآن و الحديث[1] ، عضو هيئه التدريس بجامعه كاشان قسم علوم القرآن و الحديث[2]

كلية الاداب فرع علوم قرآن و حديث؛ مدرسة جامعة المصطفى العالمية، بنت الهدى، ايران. قم. فرع علوم قرآن و حديث[3]

استلام البحث: 11/06/2026	مراجعة البحث: 10/07/2026	قبول البحث:06/08/2026

الملخص:

يتناول هذا البحث الجوامع الحديثية ودورها في بناء الفكر الإسلامي، مع التركيز على تطورها التاريخي من المصنفات الحديثية الكلاسيكية إلى الموسوعات الرقمية المعاصرة، وبيان أثر هذا التطور في حفظ السنة النبوية وتنظيمها وتيسير الإفادة منها. ويهدف البحث إلى توضيح مفهوم الجامع الحديثي وخصائصه المنهجية، واستعراض مكانة الجوامع الحديثية عند الإمامية، ولا سيما الكتب الأربعة والجوامع المتأخرة، مع إجراء قراءة مقارنة لبعض الجوامع عند أهل السنة، وتحليل دور الموسوعات الرقمية في تطوير البحث الحديثي وخدمة المعرفة الإسلامية.

اعتمد البحث المنهجين الوصفي التحليلي والتاريخي، من خلال تتبع نشأة الجوامع الحديثية ومراحل تطورها، وتحليل مناهجها العلمية ووظائفها المعرفية، مع الاستناد إلى المصادر الحديثية الأصيلة والدراسات المعاصرة ذات الصلة.

وتوصل البحث إلى أن الجوامع الحديثية لم تكن مجرد أوعية لحفظ الروايات، بل مثلت منظومة معرفية أسهمت في بناء الفكر الإسلامي، وترسيخ مناهج الاستنباط، وتنظيم العلوم الشرعية. كما أظهر أن الكتب الأربعة عند الإمامية شكلت الأساس العلمي للتأصيل العقدي والفقهي والأصولي، ثم جاءت الجوامع المتأخرة لتستوعب التراث الحديثي وتعيد ترتيبه وفق مناهج أكثر شمولًا. وبينت الدراسة أن الموسوعات الرقمية تمثل امتدادًا طبيعيًا للجوامع التقليدية، إذ وفرت إمكانات متقدمة في البحث والفهرسة والمقارنة، وأسهمت في تسهيل الوصول إلى النصوص الحديثية وتعزيز الدراسات النقدية، مع التأكيد على أن الاستفادة منها تبقى مرهونة بالتأهيل العلمي والالتزام بالضوابط المنهجية. كما خلصت الدراسة إلى أهمية التكامل بين الجوامع الحديثية والمؤسسات العلمية والمساجد في نشر المعرفة الشرعية وترسيخ الوعي الإسلامي، وأوصت بتطوير الموسوعات الرقمية بالاستفادة من تقنيات الذكاء الاصطناعي، وإنشاء قواعد بيانات حديثية موحدة وفق معايير علمية دقيقة.

الكلمات المفتاحية: الجوامع الحديثية، الفكر الإسلامي، الكتب الأربعة، الموسوعات الرقمية، السنة النبوية، الدراسات الحديثية.

Abstract

This study examines the role of Hadith compilations (Jawāmiʿ al-Ḥadīth) in shaping Islamic thought by tracing their historical development from classical Hadith collections to contemporary digital encyclopedias. It aims to clarify the concept and methodological characteristics of comprehensive Hadith compilations, investigate the significance of the Four Major Shiite Hadith Collections and later Imami compilations, provide a comparative perspective with major Sunni collections, and analyze the contribution of digital Hadith databases to the preservation, accessibility, and scholarly study of Prophetic traditions.

The research adopts descriptive-analytical and historical approaches to examine the evolution of Hadith compilations, analyze their scientific methodologies and intellectual functions, and evaluate their impact based on primary Hadith sources and relevant contemporary studies.

The findings demonstrate that Hadith compilations are not merely repositories of narrations but comprehensive intellectual frameworks that have significantly contributed to the preservation of the Sunnah, the organization of Islamic knowledge, and the development of theological, jurisprudential, and legal reasoning. The study concludes that the Four Major Shiite Hadith Collections established the

CC BY

foundations of Imami doctrinal and legal thought, while later comprehensive compilations expanded, reorganized, and preserved the Hadith heritage in a more systematic manner. Furthermore, digital Hadith encyclopedias represent a natural continuation of the classical tradition by providing advanced search tools, indexing systems, comparative analysis, and rapid access to authenticated texts, thereby enhancing academic research and critical studies. Nevertheless, their effective use depends on sound scholarly training and adherence to established methodological principles. The study also emphasizes the complementary relationship between Hadith compilations, educational institutions, and mosques in disseminating authentic Islamic knowledge and recommends further development of digital Hadith resources through artificial intelligence technologies and unified scholarly databases.
Keywords: Hadith Compilations, Islamic Thought, Four Major Shiite Hadith Collections, Digital Hadith Encyclopedias, Sunnah, Hadith Studies.

المقدمة

فقد حظيت السنة الشريفة بعنايةٍ بالغة من علماء المسلمين منذ عصر التشريع، فتنوَّعت مصنفاتهم في جمع الحديث وترتيبه وتصنيفه بحسب المقاصد العلمية المختلفة. ومن أبرز هذه المصنفات «الجوامع الحديثية»[1]، وهي الكتب التي تشتمل على أبواب الدين المتعددة كالعقائد والأحكام والآداب والتفسير والسير والفتن والمناقب، ولذلك عدَّها المحدِّثون من أشمل أنواع التصنيف الحديثي[2]. وقد بلغ هذا اللون من التأليف عند الإمامية ذروته في «الكتب الأربعة» التي صارت أصول المذهب ومرجع الاستنباط، ثم في «الجوامع المتأخِّرة» التي استوعبت تراث الطائفة وأعادت ترتيبه.

ومع التطور التقني في العصر الحديث انتقلت فكرة الجمع والاستيعاب من صورتها الورقية التقليدية إلى الموسوعات الحديثية الرقمية التي يسَّرت الوصول إلى النصوص وخدمات الفهرسة والتخريج بدرجة غير مسبوقة. ويسعى هذا البحث إلى تتبُّع هذا المسار من الجوامع الإمامية المؤسِّسة إلى الموسوعة الرقمية المعاصرة، وبيان أثره في بناء الفكر الإسلامي.

إشكالية البحث

ينطلق البحث من تساؤلٍ رئيس مفاده: كيف تطوَّرت فكرة الجامع الحديثي من المصنفات الكلاسيكية — ولا سيما الجوامع الإمامية الكبرى — إلى الموسوعات الرقمية المعاصرة؟ وما أثر هذا التطور في خدمة السنة وفي تشكيل الوعي

[1] عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر (دمشق: دار الفكر)، في النوع المعقود لمعرفة أقسام المصنّفات الحديثية.

[2] جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبي قتيبة الفاريابي (الرياض: دار طيبة)، في بيان أقسام المصنّفات الحديثية ومنها الجوامع.

المعرفي الإسلامي؟ ويتفرَّع عنه أسئلة: ما مفهوم الجامع الحديثي وخصائصه المنهجية عند الفريقين؟ وما مكانة الكتب الأربعة والجوامع المتأخِّرة في بناء الفكر الإمامي؟ وهل مثَّلت الموسوعات الرقمية امتدادًا للجوامع التقليدية أم أحدثت تحولًا نوعيًّا في آليات البحث والاستفادة؟

أهمية البحث وأهدافه

تنبع أهمية البحث من تناوله نمطًا تأليفيًّا أسهم في حفظ السنة وتنظيمها عبر العصور، ومن دراسته التحوُّل من الجوامع الورقية إلى الموسوعات الرقمية وأثره في تداول المعرفة الحديثية. ويهدف إلى بيان مفهوم الجامع الحديثي وخصائصه، وتتبُّع مراحل تطوُّره عند الإمامية خاصة، وتحليل إسهام الكتب الأربعة والجوامع المتأخِّرة والموسوعات الرقمية في بناء الفكر، مع بيان الدور التكميلي للمسجد الجامع والحوزة العلمية في نشر المعرفة الشرعية.

الدراسات السابقة

تناولت كتب الدراية ومصطلح الحديث موضوع الجوامع من جوانب متعددة؛ فمن مصادر الإمامية: «أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية» لجعفر السبحاني[1]، و«أصول الحديث» لعبد الهادي الفضلي[2]، و«دراسات في الحديث والمحدِّثين» لهاشم معروف الحسني[3]، فضلًا عن التوثيق البِبليوغرافي الواسع في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآقا بزرگ الطهراني[4]. ومن مصادر أهل السنة: «معرفة أنواع علوم الحديث» لابن الصلاح، و«تدريب الراوي» للسيوطي،

[1] جعفر السبحاني، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام).

[2] عبد الهادي الفضلي، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1986م).

[3] هاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدِّثين (بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1978م).

[4] محمد محسن آقا بزرگ الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة (بيروت: دار الأضواء)، مادّتا «الجامع» و«الكتب الأربعة».

CC BY

و«الرسالة المستطرفة» للكتاني[1]. إلا أنَّ الدراسات التي تجمع بين التأصيل لمفهوم الجامع وتتبُّع تطوُّره عند الإمامية حتى الموسوعات الرقمية ما تزال محدودة، وهو المجال الذي يُسهم فيه هذا البحث.

منهج البحث وخطته

اعتمد البحث المنهجين الوصفي التحليلي والتاريخي في بيان مفهوم الجوامع وتتبُّع مراحل تطوُّرها من المصنفات الكلاسيكية إلى الموسوعات الرقمية، مع التركيز على الجوامع الإمامية ومصادرها الأصلية، إلى جانب دراسات معاصرة ذات صلة. وقد انتظم في تمهيدٍ وثلاثة مباحث وخاتمةٍ ضمَّت أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد: مفهوم الجامع الحديثي وأصوله المعرفية

يُطلق «الجامع» في اصطلاح المحدِّثين على الكتاب الذي يشتمل على أبواب الدين المتعددة، كالعقائد والأحكام والآداب والتفسير والسير والفتن والمناقب[2]، ولذلك عُدَّ من أشمل أنواع التصنيف. وقد ميَّز العلماء بين الجوامع والسنن والمسانيد والمعاجم تبعًا لاختلاف مناهج التأليف ومقاصده؛ فبينما تُعنى السنن غالبًا بأحاديث الأحكام، وتُرتَّب المسانيد على أسماء الرواة، تمتاز الجوامع بشمولها لموضوعات الدين كافة، مما منحها مكانة بارزة في حفظ السنة وتنظيمها.

وهذا الاستيعاب ليس مجرد تقسيمٍ فنّي، بل هو خريطة معرفية للتصوُّر الإسلامي في كليته، إذ يربط النصَّ الديني بمناحي الحياة من عقيدةٍ وتشريع وسلوك وتاريخ ومآل. ويقوم على افتراضٍ معرفي محوري مفاده أنَّ السنة وحدةٌ متكاملة لا يُفهم بعضها بمعزلٍ عن بعض؛ فنصوص الاعتقاد تَمُدُّ نصوص الأخلاق، ونصوص الأحكام تستضيء

[1] محمد بن جعفر الكتاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2000م).

[2] السيوطي، تدريب الراوي، في بيان أقسام المصنّفات الحديثية؛ وابن الصلاح، معرفة أنواع علوم الحديث، في النوع المعقود للمصنّفات.

CC BY

بنصوص السيرة. ومن هنا لم تقتصر الجوامع على أحاديث الأحكام، بل ضمَّت أبواب العقيدة والآداب والرقائق والتفسير، فصارت مرجعًا جامعًا لجوانب المعرفة الشرعية[1].

وعند الإمامية اتخذت فكرة الجامع مسارًا خاصًّا؛ إذ تأسَّس البناء الحديثي على «الأصول» التي دوَّنها أصحاب الأئمة في عصر النص، ثم انتظمت تلك الأصول في «الكتب الأربعة» التي صارت أصول المذهب ومدار الاستنباط[2]، ثم في «الجوامع المتأخِّرة» التي أعادت جمع المرويات وترتيبها. وهذا المسار التراكمي هو ما ستحمله الموسوعات الرقمية إلى آفاق أوسع.

المبحث الأول: الجوامع الحديثية الكلاسيكية ودورها في بناء الفكر

المطلب الأول: الجامع في الاصطلاح ومكانته بين المصنفات

عرَّف العلماء الجامعَ بأنه المصنَّف الجامع لأبواب الدين المختلفة، فعُدَّ من أكثر أنواع التصنيف شمولًا. ويمتاز عن غيره بأن غايته استيعاب موضوعات الدين المتنوعة، بخلاف السنن التي يغلب عليها أحاديث الأحكام، والمسانيد المرتَّبة على الرواة، والمعاجم المرتَّبة على الشيوخ أو البلدان[3]. وتكمن قيمة هذا الحدِّ في أنه يضع معيارًا موضوعيًّا للتمييز بين غايات التأليف؛ فالسنن تخدم الفقيه، والمسند يخدم الباحث في المرويات، أمَّا الجامع فيخدم طالب العلم الشامل، إذ يجد فيه المفسِّر والمتكلِّم والفقيه والسلوكي والمؤرِّخ ما يحتاجه ضمن مصنَّفٍ واحد، وهو ما يجعله في مرتبةٍ مرجعية أعلى ضمن منظومة التأليف الحديثي.

[1] عبد الهادي الفضلي، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية (بيروت: دار التعارف، 1986م).

[2] جعفر السبحاني، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية (قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام)؛ وهاشم معروف الحسني، دراسات في الحديث والمحدِّثين.

[3] طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر (بيروت: دار المعرفة)، في مبحث أقسام كتب الحديث ومناهجها.

CC BY

المطلب الثاني: الكتب الأربعة — الجوامع الإمامية المؤسِّسة

تُمثِّل «الكتب الأربعة» العمود الفقري للتراث الحديثي الإمامي، وعليها انبنى الفقه والكلام والاستنباط عند الطائفة، حتى عُدَّت أصول المذهب التي يُرجع إليها في تحرير المسائل. وهي: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، وتهذيب الأحكام، والاستبصار. وقد كان كلٌّ منها مشروعًا معرفيًّا قبل أن يكون مصنَّفًا، إذ صاغ بنيةً من بُنى الفكر الإمامي.

فأمَّا «الكافي» لثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني (ت 329هـ) فهو أجلُّها وأوسعها، وينتظم في الأصول والفروع والروضة. والدليل على عمق أثره في بناء الفكر أنه افتُتح بـ«كتاب العقل والجهل» ثم «كتاب فضل العلم» قبل الخوض في التوحيد والحجة[1]؛ وهذا الترتيب ليس عفويًّا، بل تأسيسٌ منهجي يجعل العقل والعلم مدخلَين إلى الدين، فيؤطِّر البناء العقدي والفقهي بإطارٍ عقلي معرفي. ومن هنا صار الكافي مرجعًا للمتكلِّم والأصولي معًا، لا للفقيه وحده.

وأمَّا «من لا يحضره الفقيه» للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي (ت 381هـ) فقد سلك فيه مؤلِّفه نهج الإفتاء؛ إذ لم يقصد مجرد سرد المرويات، بل أثبت ما يُفتي به ويحكم بصحته ويجعله حجةً بينه وبين ربه[2]. وهذا المنحى جعل الكتاب أداةً في تكوين «المتن الفقهي المعتمد» لا مجرد خزانة نصوص، فأسهم في ترسيخ ثقافة الإسناد إلى الحجة في الفتوى.

وأمَّا «تهذيب الأحكام» و«الاستبصار فيما اختلف من الأخبار» لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت 460هـ) فيمثِّلان نقلةً منهجية حاسمة؛ إذ لم يكتفِ الطوسي بالجمع، بل عالج تعارض الأخبار وأسَّس قواعد الجمع والترجيح بين المتعارضات[3]. وهذه المعالجة هي البذرة التي نمت منها لاحقًا مباحث «التعادل والترجيح» في علم أصول الفقه

[1] محمد بن يعقوب الكليني، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري (طهران: دار الكتب الإسلامية)، ج1، كتاب العقل والجهل (الحديث الأول) ثم كتاب فضل العلم. والكافي مطبوع في ثمانية أجزاء: الأصول (ج1–2)، والفروع (ج3–7)، والروضة (ج8). [يُوثَّق على طريقة المحدِّثين: الكتاب فالباب فرقم الحديث.]

[2] محمد بن علي بن بابويه الصدوق، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، مقدمة المؤلف (في بيان منهجه وأنه لا يورد إلا ما يفتي به ويحكم بصحته).

[3] محمد بن الحسن الطوسي، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق حسن الموسوي الخرسان (طهران: دار الكتب الإسلامية)، مقدمة المؤلف (في منهج الجمع بين الأخبار المتعارضة).

CC BY

الإمامي؛ فالجامع هنا لم يَبنِ الفقه فحسب، بل أسهم في بناء المنهج الأصولي الذي يُستنبط به الفقه. ويتجلَّى بهذا أنَّ الجوامع الإمامية كانت فاعلًا منهجيًّا لا وعاءً ساكنًا[1].

والمستخلَص أنَّ الكتب الأربعة وزَّعت بينها وظائف بناء الفكر: فالكافي أسَّس البنية العقلية–العقدية، والفقيه رسَّخ المتن الفتوائي، والتهذيب والاستبصار أرسيا منهج معالجة التعارض. وبهذا التكامل صارت الكتب الأربعة لا مصادر للنقل فحسب، بل مدارس في التفكير الحديثي والأصولي.

المطلب الثالث: الجوامع الإمامية المتأخِّرة

لم يقف التأليف الجامع عند الكتب الأربعة، بل تطوَّر إلى «المجاميع الكبرى المتأخِّرة» التي أعادت جمع التراث وترتيبه واستدراك ما فات. ومن أبرزها «الوافي» للفيض الكاشاني (ت 1091هـ) الذي جمع أحاديث الكتب الأربعة في نسقٍ جديد مع شرحٍ وتبويب، فيسَّر على الباحث استيعاب أصول المذهب في مصنَّفٍ واحد[2].

ثم جاء «تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» للحرّ العاملي (ت 1104هـ)، وهو جامعٌ لأحاديث الأحكام مرتَّبٌ على أبواب الفقه ترتيبًا دقيقًا، حتى صار العمود الفقري للاستدلال الفقهي الإمامي المعاصر؛ إذ يكاد لا يخلو بحثٌ فقهي استدلالي من الإحالة إليه[3]. وهذا التبويب الفقهي المُحكم هو شاهدٌ بالغ الدلالة على دور الجامع في تشكيل بنية الاستنباط؛ فترتيب النصوص على الأبواب يصوغ ذهن الفقيه ويوجِّه طريقة جمعه للأدلة.

[1] محمد بن الحسن الطوسي، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان (طهران: دار الكتب الإسلامية)، مقدمة المؤلف (والكتاب مرتَّب على «المقنعة» للشيخ المفيد).

[2] محمد محسن الفيض الكاشاني، الوافي (أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام)، مقدمة المؤلف (في بيان منهجه وجمعه لأحاديث الكتب الأربعة وترتيبها).

[3] محمد بن الحسن الحرّ العاملي، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث (قم: مؤسسة آل البيت، الطبعة الأولى، 1409هـ، في ثلاثين جزءًا، مرقَّم موافقًا للمطبوع). ويُحال إليه على طريقة المؤلف: الباب ورقم الحديث من الأبواب المعنونة على مسائل الفقه.

CC BY

وأمَّا «بحار الأنوار» للعلامة محمد باقر المجلسي (ت 1110هـ) فهو الموسوعة الحديثية الكبرى التي استوعبت أبواب الدين كافة، وحفظت تراثًا واسعًا من مصادر كادت تندرس، فجمعت بين وظيفة الحفظ ووظيفة التصنيف الموضوعي الشامل[1]. ويُكمل المنظومةَ «مستدرك الوسائل» للميرزا حسين النوري الطبرسي (ت 1320هـ) الذي استدرك على الوسائل ما فاته من نصوص، فجسَّد القانون التراكمي للتأليف الجامع: لاحقٌ يضيف إلى سابق دون أن يُلغيه[2].

المطلب الرابع: الجوامع عند أهل السنة — قراءة مقارنة

يُغني الموازنة أن نلحظ النظير عند أهل السنة؛ فأشهر جوامعهم «الجامع المسند الصحيح» للبخاري (ت 256هـ)، الذي جمع بين صحة الشرط وشمول الأبواب[3]، ثم «الجامع» للترمذي (ت 279هـ) الذي أضاف إلى الجمع الموضوعاتي الحكمَ النقدي على الأحاديث. وفي مرحلةٍ تالية ظهرت «المجامع الجامعة»: «جامع الأصول» لابن الأثير الجزري (ت 606هـ) الذي جمع الكتب الستة وحذف الأسانيد وبوَّب على الفقه[4]، و«جمع الجوامع» للسيوطي (ت 911هـ)، الذي صار أصلًا لـ«كنز العمال» للمتقي الهندي (ت 975هـ)[5]. والموازنة تُظهر أنَّ الفريقين سلكا قانونًا تراكميًّا واحدًا في تطوير الجامع، مع اختلافٍ في أصول الاعتماد والتلقّي.

المطلب الخامس: معايير الجامع الحديثي الجيد

[1] محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (بيروت: مؤسسة الوفاء، 1403هـ)، مقدمة المؤلف (الفصل الأول في بيان مصادر الكتاب وتوثيقها).

[2] حسين النوري الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت (قم: مؤسسة آل البيت، 1408هـ)، خاتمة المستدرك / مقدمة المؤلف (في منهج الاستدراك على الوسائل).

[3] محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد زهير بن ناصر (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ)، أبواب الإيمان والعلم والتفسير والرقاق.

[4] مجد الدين ابن الأثير الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (دمشق: مكتبة الحلواني)، مقدمة المؤلف (في جمعه بين الكتب الستة وحذف الأسانيد والترتيب على الأبواب الفقهية).

[5] علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409هـ/1989م)، المقدمة.

CC BY

استخلص العلماء عبر التراكم التاريخي معايير يُحكم بها على جودة الجامع: أوّلها شمول الأبواب دون إخلالٍ بجانبٍ من جوانب الدين، وثانيها الضبط في عزو الأحاديث إلى مصادرها وعدم التصرُّف المُخِلّ في ألفاظها، وثالثها الوضوح المنهجي في الترتيب بما يُيسِّر على الباحث مطلوبه.

ويُضاف معيارٌ رابع طُرح بقوة حديثًا، هو التحقيق وبيان درجة الأحاديث من صحةٍ وحُسنٍ وضعف؛ إذ لا يكفي الجمع دون تمييز ما يصح الاحتجاج به ممَّا لا يصح. وقد كانت العناية بهذا المعيار متفاوتة في الجوامع الكلاسيكية، فجاءت أدوات النقد الرجالي والموسوعات الرقمية لتسدَّ هذا الجانب بصورةٍ منظَّمة[1].

المبحث الثاني: الجوامع الحديثية المعاصرة — الموسوعات الرقمية

المطلب الأول: التحوُّل من الجامع الورقي إلى الموسوعة الرقمية

مع تقدُّم التقنية بُذلت جهودٌ كثيرة لخدمة السنة عبر الحاسوب وشبكة المعلومات، فتوافرت برامج موسوعية تتناول علوم الحديث روايةً ودراية، وتيسِّر سُبل الوصول إلى النص لجميع المسلمين[2]. ولم يكن هذا التحوُّل من الورق إلى الرقم مجرد تغييرٍ في الوعاء، بل ثورةً في طريقة التعامل مع النص الحديثي كله؛ إذ انتقل الباحث من القراءة الخطّية للكتاب الورقي إلى «استجواب» المدوَّنة الحديثية كاملةً بسؤالٍ واحدٍ خلال ثوانٍ.

وهذا الانتقال من «النص المقروء» إلى «النص المُستجوَب» تحوُّلٌ نوعيٌّ عميق في بنية التفكير المعرفي. ويمكن قراءته في سياق قانونٍ تاريخي عام: كل ثورةٍ في أدوات الكتابة والتخزين والاسترجاع تُفضي إلى ثورةٍ موازية في طبيعة

[1] جعفر السبحاني، كليات في علم الرجال (قم: مؤسسة النشر الإسلامي للجماعة المدرّسين بقم).

[2] من أبرز البنى الرقمية في هذا الباب: مكتبة «مدرسة الفقاهة» الرقمية (eshia) الصادرة عن مركز نور للأبحاث الحاسوبية في العلوم الإسلامية بقم، و«المكتبة الشيعية» (shiaonlinelibrary)، وهي تتيح أصول التراث الحديثي الإمامي مرقمنةً موافقةً للمطبوع.

CC BY

الإنتاج المعرفي؛ فكما أدى انتشار الورق إلى توسُّعٍ في التأليف الحديثي في القرون الوسطى، أدى الحاسوب والإنترنت إلى توسُّعٍ غير مسبوق في جمع السنة وتصنيفها وإتاحتها.

المطلب الثاني: أبرز الموسوعات الحديثية المعاصرة ومناهجها

على صعيد التراث الإمامي، اضطلعت مراكز التحقيق الرقمي في الحوزة العلمية بدورٍ ريادي؛ ومن أبرزها «مركز نور للأبحاث الحاسوبية في العلوم الإسلامية» بقم، الذي أنتج مكتباتٍ وبرامج موسوعية تجمع الكتب الأربعة والجوامع المتأخِّرة وكتب الرجال والتفسير مع محرّكات بحثٍ متقدمة وفهارس موضوعية وأدوات تخريج[1]. وكذلك «مكتبة أهل البيت عليهم السلام» الرقمية التي أتاحت أصول التراث الإمامي للباحثين في أنحاء العالم. وهذه المنظومات نقلت أصول المذهب من رفوف المكتبات إلى متناول كل باحث، فحقَّقت في مجال الحديث الإمامي ما حقَّقته نظائرها في التراث العام.

ومن المشاريع العامة الجامعة «موسوعة الحديث الشريف» التي ضمَّت الكتب التسعة المشهورة مع جملةٍ من الشروح والخدمات البحثية، فكشف حجمها عن الفارق بين الجامع الورقي الذي يستغرق مجلداتٍ محدودة وبين الموسوعة الرقمية التي تستوعب في شريحةٍ صغيرة ما لو طُبع لملأ مكتبةً بأكملها[2]. كما ظهرت منصّاتٌ تجمع بين وظيفة الجامع ووظيفة الناقد، فلا تكتفي بعرض الأحاديث بل تُلحق بها أحكام العلماء عليها صحةً وضعفًا بإشراف لجانٍ علمية، فيقف الباحث على حكم الحديث مباشرةً دون الرجوع إلى مظانّ متعددة.

[1] مركز نور للأبحاث الحاسوبية في العلوم الإسلامية (قم)، ومنه مكتبة «مدرسة الفقاهة» الرقمية (eshia) التي تجمع الكتب الأربعة والجوامع المتأخِّرة وكتب الرجال مع محرّكات بحث وفهارس موضوعية.

[2] انظر في وصف هذا النمط من المنظومات الجامعة وما تستوعبه: مكتبة «مدرسة الفقاهة» (eshia)، ومكتبة أهل البيت عليهم السلام الرقمية.

CC BY

والملاحظة المنهجية أنَّ هذه الموسوعات ليست نسخًا متكررة لفكرةٍ واحدة، بل تطوُّراتٌ نوعية متباينة؛ فبعضها قدَّم سعة الاستيعاب، وبعضها الفهرسة الموضوعية، وبعضها التكامل بين الجمع والنقد. ويبدو أنَّ مسار التطوُّر يتجه نحو موسوعاتٍ تزداد ذكاءً في إدراك العلاقات بين النصوص.

المطلب الثالث: الدور المعرفي للموسوعات في بناء الفكر

يتجلَّى دور الموسوعات في بناء الفكر على مستوياتٍ مترابطة. فعلى مستوى المرجعية النصية، صار ممكنًا أن يرتكز الاستدلال في كل مسألةٍ على تصوُّرٍ شاملٍ لنصوص الباب لا على نصوصٍ منتقاة، فيما يُعرف بـ«الاستقراء التام»؛ وهو مبدأٌ طالما طالب به الأصوليون وعجز المتقدمون عن تطبيقه الكامل لتعذُّر الاستيعاب باليد، فصار ميسورًا بالاستجواب الإلكتروني للمدوَّنة.

وعلى مستوى الوعي النقدي، تُتيح المقارنة بين روايات الحديث الواحد من مصادر مختلفة، فتتبيَّن الزيادات والشذوذ واختلاف الألفاظ، وهو ما كان يستغرق المحدِّثين أشهرًا من التنقيب. وعلى مستوى وحدة الأمة المعرفية، كسرت الموسوعات احتكار المعرفة الحديثية الذي كان رهين امتلاك المكتبات، فصار طالب العلم في أقاصي الأرض يصل إلى المدوَّنة المحقَّقة بالجودة نفسها التي يصل إليها العالم في حواضر العلم.

المطلب الرابع: ضوابط منهجية في التعامل مع الموسوعات

أثرُ الجامع رهينٌ بحُسن استعماله، فلزم ضبط التعامل مع الموسوعات: أوّلها ألَّا تُتَّخذ بديلًا عن التأهيل العلمي؛ فالأداة تُيسِّر على العالِم ولا تصنع من غيره عالمًا، ومن ظنَّ أنَّ امتلاكها يُغنيه عن دراسة علوم الآلة من رجالٍ ودرايةٍ وأصولٍ ولغة فقد أخطأ مدخل العلم.

وثانيها التفريق بين «وجدان النص» و«فهمه في سياقه»؛ فالموسوعة تُعين على إيجاد الحديث لكنها لا تُغني عن فهمه في سياقه النصي والتاريخي والفقهي، وكم من حديثٍ صحيح الإسناد يُساء تنزيله حين يُقتطع من سياقه. وثالثها ملازمة نقد المصدر ذاته؛ فالموسوعات صنعة بشرٍ تعتريها أخطاء الإدخال واختلاف أحكام الترجيح، فلا يصح التعويل على نتيجةٍ آلية دون ردِّها إلى أصلها المطبوع والتثبُّت منها. وبهذه الضوابط تتحوَّل الموسوعة من خطرٍ محتمل إلى رافدٍ من أعظم روافد الفكر.

المطلب الخامس: تحديات الموسوعة الرقمية وآفاق تطوُّرها

لا يكتمل التقييم دون الإشارة إلى التحديات: أوّلها تحدي المعالجة الدلالية؛ فالموسوعات الحالية تبحث في الألفاظ والجذور، ولا تزال قاصرةً عن استيعاب السياقات الدلالية الدقيقة. وثانيها تصحيح المخطوطات المرقمَنة، إذ تنتقل أخطاء النسخ إلى الوعاء الرقمي فتشوِّه نتائج البحث. أمَّا الآفاق فتشير إلى جيلٍ قادم يعتمد الذكاء الاصطناعي في تحليل العلاقات بين النصوص وإدراك التعارض والتواتر والشواهد تلقائيًّا، مما سيُحوِّل الموسوعة من وعاء استرجاعٍ إلى شريكٍ تحليلي فاعل.

المبحث الثالث: الجامع المكاني ودوره التكميلي في خدمة الفكر

المطلب الأول: المسجد الجامع بين الموروث والمعاصر

لمَّا كانت الجوامع الحديثية تؤدّي وظيفة الجمع المعرفي للسنة، كان ثمة جانبٌ آخر لا يقل أهمية هو الجمع الاجتماعي والتربوي الذي يؤدّيه المسجد الجامع. فقد اضطلع المسجد منذ عهد النبوة بدورٍ محوري في بناء الحضارة الإسلامية، إذ كان مركزًا للعلم والقضاء والتوجيه الروحي والاجتماعي[1]. وكان المسجد النبوي نموذجًا أوليًّا يجمع بين الجمع المكاني والجمع المعرفي في آنٍ، فمنه تدارت شؤون الدعوة والتعليم والقضاء، فكان الجمع المكاني رديفًا ضروريًّا للجمع الكتابي في صياغة وعي الأمة.

وعند الإمامية اتخذ الجمع المكاني–المعرفي صورته المؤسَّسية الناضجة في «الحوزة العلمية» التي ارتبطت تاريخيًّا بالمسجد والمشهد المقدَّس؛ فحوزتا النجف وقمّ امتدادٌ حيٌّ لفكرة الجمع المكاني، إذ تحوَّل المكان المقدَّس إلى مؤسسةٍ علمية تجمع الدرس الحديثي والفقهي والأصولي حول النص الإمامي. وبهذا يتكامل الجامع الحديثي بوصفه «نصًّا مجموعًا» مع الحوزة بوصفها «مكانًا جامعًا» في إنتاج المعرفة الدينية وتداولها.

المطلب الثاني: التكامل بين الجامع الحديثي والجامع المكاني

تنتهي الرؤية الكلية إلى أنَّ الجامعَين — الحديثي والمكاني — ليسا حقلين متوازيين منفصلين، بل طرفا دائرةٍ واحدة: فالجامع الحديثي يمدُّ المنبر والدرس بالمادة الصحيحة المحرَّرة، والمنبر والحوزة ينشران ما في الجامع ويحوّلانه من علمٍ مخزون إلى وعيٍ متحرك في حياة الناس. وبهذا تتم دورة المعرفة: من النص المجموع في الكتاب أو الموسوعة، إلى الخطاب المبثوث من المنبر والدرس، إلى السلوك المتمثَّل في الواقع.

[1] صالح بن غانم السدلان، الأثر التربوي للمسجد؛ وأحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني (بيروت: مؤسسة الرسالة، 2004م).

CC BY

والمؤسسة العلمية التي تجمع بين الخطاب الرصين والاستعانة بالموسوعات الحديثية في التحقُّق من النصوص تُقدِّم نموذجًا حيًّا لهذا التكامل؛ فالعالِم الذي يستشهد بحديثٍ موثَّق مخرَّج يُرسِّخ ثقافة المرجعية النصية ومعيار الصحة، بخلاف من يروي دون تحقُّقٍ فيُعمِّق ثقافة القبول غير النقدي. وهنا يتجلَّى أنَّ الأدوات المعرفية ليست محايدةً في أثرها، بل جزءٌ من المنظومة التي تصنع طبيعة الوعي الديني. ومن ثَمَّ يتعيَّن برنامجٌ عملي: تدريب الخطباء وطلبة العلم على الاستخدام المنهجي للموسوعات، وربط المنبر والدرس بثقافة التحقُّق، والنهوض بالمؤسسة الدينية لتُرشِّد استهلاك المعرفة في عصر الفيض المعلوماتي غير المنقَّح.

الخاتمة

خلص هذا البحث، بعد رحلته في تاريخ الجوامع الحديثية وتطوُّرها — مع تصدير التراث الجامع الإمامي — إلى صورتها الموسوعية المعاصرة، إلى جملةٍ من النتائج، أبرزها أنَّ مفهوم الجامع ينطوي على رؤيةٍ معرفية متكاملة قائمة على أنَّ الدين وحدةٌ لا تتجزَّأ وأنَّ نصوصه يفسِّر بعضها بعضًا، وهي رؤيةٌ تجدَّدت في كل مرحلةٍ بأدواتها.

ومنها أنَّ الكتب الأربعة لم تكن خزائن نقلٍ فحسب، بل مدارس في التفكير: فالكافي أسَّس البنية العقلية–العقدية، والفقيه رسَّخ المتن الفتوائي، والتهذيب والاستبصار أرسيا منهج معالجة التعارض الذي تفرَّع عنه باب التعادل والترجيح في الأصول. ثم استوعبت الجوامع المتأخِّرة — الوافي والوسائل والبحار والمستدرك — هذا التراث وأعادت تنظيمه، فجسَّدت قانون التراكم لا النفي.

ومنها أنَّ الموسوعات الرقمية هي الامتداد الطبيعي للجوامع الكلاسيكية لا بديلها، وأنَّها لا تؤتي ثمرتها إلا حين تُقترن بالتأهيل العلمي وبالجامع المكاني المتمثِّل في المسجد والحوزة؛ فالموسوعة تُغذّي الخطاب، والخطاب يُحرّك الإنسان، والإنسان هو الغاية.

أبرز التوصيات

1- تطوير الموسوعات الحديثية الإمامية نحو جيلٍ من الذكاء الاصطناعي الدلالي القادر على تحليل العلاقات بين النصوص ورصد التعارض والشواهد تلقائيًّا، مع ربطها بمنظومات الرجال والدراية.

2- إدراج تدريب طلبة العلم والخطباء على الاستخدام المنهجي للموسوعات الحديثية ضمن مناهج الحوزات ومعاهد الدراسات الإسلامية وبرامج تأهيل الأئمة.

3- إجراء دراساتٍ مقارنة تقيس الأثر الفعلي للموسوعات الرقمية في رفع دقة الاستشهاد النصي في المنابر والكتابة الدينية المعاصرة.

4- إنشاء قاعدة بياناتٍ موحَّدة تجمع المصنفات الحديثية المحقَّقة بمعايير علمية صارمة، تكون مرجعًا مشتركًا للمؤسسات العلمية.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر الأولية والكتب

(أ) الجوامع الحديثية الإمامية — الكتب الأربعة

1. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1407هـ.

2. الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي أكبر الغفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، 1413هـ.

3. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1407هـ.

4. الطوسي، محمد بن الحسن، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، تحقيق حسن الموسوي الخرسان، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1390هـ.

(ب) الجوامع الإمامية المتأخِّرة

5. الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي، أصفهان: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، 1406هـ.

6. الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم: مؤسسة آل البيت، 1409هـ.

7. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت: مؤسسة الوفاء، 1403هـ.

8. النوري الطبرسي، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسسة آل البيت، قم: مؤسسة آل البيت، 1408هـ.

(ج) كتب الدراية والرجال والفهرسة

9. السبحاني، جعفر، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، قم: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.

10. السبحاني، جعفر، كليات في علم الرجال، قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

11. الفضلي، عبد الهادي، أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1986م.

12. الحسني، هاشم معروف، دراسات في الحديث والمحدِّثين، بيروت: دار التعارف للمطبوعات، 1978م.

13. الطهراني، محمد محسن آقا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، بيروت: دار الأضواء.

(د) مصادر مقارِنة من تراث أهل السنة

14. البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح المختصر، تحقيق محمد زهير بن ناصر، بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ.

15. الترمذي، محمد بن عيسى، الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م.

16. ابن الأثير الجزري، مجد الدين، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة الحلواني.

17. المتقي الهندي، علي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1409هـ/1989م.

18. ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، معرفة أنواع علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، دمشق: دار الفكر، 1986م.

19. السيوطي، جلال الدين، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبي قتيبة الفاريابي، الرياض: دار طيبة، 1994م.

20. الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 2000م.

21. الجزائري، طاهر، توجيه النظر إلى أصول الأثر، بيروت: دار المعرفة.

22. السدلان، صالح بن غانم، الأثر التربوي للمسجد.

23. غلوش، أحمد أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، بيروت: مؤسسة الرسالة، 2004م.

ثانيًا: المكتبات الرقمية والمنظومات الحاسوبية

24. مركز نور للأبحاث الحاسوبية في العلوم الإسلامية (قم) — مكتبة «مدرسة الفقاهة» الرقمية (eshia): الكتب الأربعة والجوامع المتأخِّرة وكتب الرجال، مرقمنةً موافقةً للمطبوع.

25. المكتبة الشيعية (shiaonlinelibrary) — أصول التراث الحديثي الإمامي.

26. مكتبة أهل البيت عليهم السلام الرقمية (al-islam.org) — نصوص التراث الإمامي المحقَّقة.